ثلاثين الى خمسين ألف اصابة لو شاءت أن تستمر في عمليات التقدم الى أن تفرض هيمنة كاملة على المدينة. والى نهاية الحرب كان المدافعون عن بيروت يملكون الوسائل والارادة اللازمتين لإرغام اسرائيل على دفع ثمن كهذا، يشهد على ذلك العدد الكبير من المقاتلين الفلسطينيين الذين غادروا بيروت سالمين، والكميات الكبيرة من الأسلحة والذخائر التي غادرتها أو أبقيت فيها. ومع ذلك، فان القيادة الفلسطينية اضطرت للتفاوض من أجل الخروج من بيروت؛ وكان السبب الرئيسي الذي أرغمها على قبول وقف اطلاق النار أن المدينة، في نهاية الأمر وأياً كان حجم التأييد الذي محضته لمنظمة التحرير، ليست مدينة فلسطينية، مما يعني أنه لا يجوز للقيادة الفلسطينية أن تستمر في سياسة مجابهة قد تؤدي لارغام هذه المدينة على دفع ثمن باهظ للصمود الفلسطيني أو قد تؤدي الى تعقيد أوضاع لبنان زيادة على ما هي معقدة في الأساس.

ازدياد وزن منظمة التحرير

الى هذه الدروس التي أشرنا لابرزها، تأكدت، نتيجة الحرب، نتائج اجمالية تنسحب آثارها أولاً بادئ على مجمل الظروف المتصلة بقضية فلسطين والصراع العربي ــ الصهيوني.

وأولاها وفرة البراهين التي تبين أن اللحم الفلسطيني مرّ على الطامعين في نهشه، وتوفر القناعة لدى كل من يعنيهم الأمر بمن فيهم الذين يكابرون وينكرون، بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي، حقاً، الرقم الذي لا يمكن شطبه من معادلة الشرق الأوسط، وأن حل هذه القضية هو المفتاح الذي تظل بدونه كل القضايا الأخرى عالقة. ويتصل بهذه النتيجة ازدياد ثقل وزن قضية فلسطين وتثبيت حقيقة أنه لا يمكن الوصول جدياً الى سلام مستقر في المنطقة ما لم يُستفرض الفلسطينيون على نحو أو آخر.

وقد اجتذبت الحرب ودفاع المقاتلين الفلسطينيين البطولي ضد الغزو الاسرائيلي، تأييداً عالمياً واسعاً ومتيناً لحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية، ومكنت منظمة التحرير من الحصول على احترام وتقدير عميقين. وفي ما عدا المكابرين، لم يعد أحد يشك بحقيقة ومصداقية تمثيل المنظمة لشعبها.

وعلى الوجه الآخر، تدنت سمعة اسرائيل الى الحضيض بالمعنى الحرفي للكلمة، وسقطت آخر الأستار التي كانت تتغطى بها للتمويه على الطبيعة العدوانية التوسعية لحروبها في السابق. وتعرض للانتكاس ما جنته اسرائيل من مكاسب بعد صلحها مع مصر وتطبيعها للعلاقات بينهما لتتضح الطبيعة العنصرية الاجرامية لسلوكها واجراءاتها في حربها ضد الشعب الفلسطيني.

وليس لهذه النتائج مجتمعة الا حصيلة واحدة هي ابراز الوجه العادل لقضية فلسطين وكفاح شعبها من أجل حقوقه الوطنية. وهي الحصيلة التي تعطي مشروعية أكبر لسياسة منظمة التحرير.

ويبقى أن تأتي الاصلاحات الفلسطينية المطلوبة في ضوء نتائج الحرب، حقيقية وصارمة بحيث تخلق الارضية اللازمة لتثبيت المكاسب وتطويرها، وحتى يحصل الشعب الفلسطيني على ثمن مجزٍ للجهود والتضحيات الهائلة التي بذلها. ولعله من الصواب